

والرفع، لا رَبَّ سِوَاهُ وَلَا إِلَهَ غَيْرُهُ.

وقد ثبت في الصحيحين عن زيد بن خالد رضي الله عنه قال: «صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحَدِيثِ عَلَى إِثْرِ سَاءَ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ [أَي عَلَى إِثْرِ مَطَرٍ] فَلَمَّا انصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطَرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكُوكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطَرْنَا بِتَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكُوكَبِ»^(١).

فالقائل عند نزول المطر: (مُطَرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ)، قد نسب النعمة لمُعْطِيهَا، وأضاف المنة لمَوْلِيهَا، واعتقد أن نزول هذا الفضل والخير والرحمة إِنْهَا هُوَ مُحْضُ نِعْمَةِ اللَّهِ وَأَثَرُ رَحْمَتِهِ سَبْحَانَهُ. وَأَمَّا الْقَائِلُ عِنْدَ نَزُولِ الْمَطَرِ: (مُطَرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا) فَلَا يَخْلُو مِنْ أَمْرَيْنِ: إِمَّا أَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّ الْمُنْزَلَ لِلْمَطَرِ هُوَ النُّجْمُ، وَهَذَا كُفْرٌ ظَاهِرٌ نَاقِلٌ مِنْ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ، أَوْ يَعْتَقِدُ أَنَّ الْمُنْزَلَ لِلْمَطَرِ هُوَ اللَّهُ، وَالنَّوْءُ سَبَبٌ، فَيُضِيفُ النِّعْمَةَ إِلَى مَا يَرَاهُ سَبَبًا فِي نَزْوِلِهَا وَهَذَا مِنْ كُفْرِ النِّعْمَةِ وَهُوَ مِنَ الشَّرِكِ الْخَفِيِّ. وَالْأَنْوَاءُ لَيْسَتْ مِنَ الْأَسْبَابِ لِنَزُولِ الْمَطَرِ، وَإِنَّمَا سَبَبُ نَزُولِ الْمَطَرِ حَاجَةُ الْعِبَادِ وَافْتِقَارُهُمْ إِلَى رِبِّهِمْ وَسَوْأُهُمْ إِيَّاهُ، وَاسْتِغْفَارُهُمْ وَتَوْبَتُهُمْ إِلَيْهِ، وَدَعَاؤُهُمْ إِيَّاهُ بِلِسَانِ الْحَالِ وَلِسَانِ الْمَقَالِ، فَيَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الْغَيْثُ بِحِكْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ بِالْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ لِحَاجَتِهِمْ وَضُرُورَتِهِمْ، وَلَا يَتِمُّ تَوْحِيدُ الْعَبْدِ حَتَّى يَعْتَرِفَ بِنِعَمِ اللَّهِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ عَلَيْهِ وَعَلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ، وَيُضِيفُهَا إِلَيْهِ وَيَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى عِبَادَتِهِ وَذِكْرِهِ وَشُكْرِهِ^(٢).

وَمِنَ السَّنَةِ أَنْ يَقُولَ الْمُسْلِمُ عِنْدَ اشْتِدَادِ هُبُوبِ الرِّيحِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا وَخَيْرَ مَا فِيهَا وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ» لَمَّا رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا عَصَفَتِ الرِّيحُ [أَي اشْتَدَّ هُبُوبُهَا] قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا وَخَيْرَ مَا فِيهَا وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ»^(٣).

وَلَا يَجُوزُ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَسِبَّ الرِّيحَ؛ فَإِنَّهَا مَسْخَرَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ مَدْبَرَةٌ مَأْمُورَةٌ، رَوَى الْبُخَارِيُّ فِي الْأَدَبِ الْمَفْرَدِ وَأَبُو دَاوُدَ فِي السَّنَنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «الرِّيحُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ، تَأْتِي بِالرَّحْمَةِ وَتَأْتِي بِالْعَذَابِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهَا فَلَا تَسُبُّوهَا، وَسَلُُّوا اللَّهَ خَيْرَهَا، وَاسْتَعِينُوا بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا»^(٤). وَقَوْلُهُ: «مِنْ رَوْحِ اللَّهِ» أَي مِنَ الْأَرْوَاحِ الَّتِي خَلَقَهَا اللَّهُ، فَلِإِضَافَةِ هُنَا إِضَافَةِ خَلْقِ وَإِجَادِ.

وَكَانَ مِنْ هَدْيِهِ رضي الله عنه أَنْ يَقُولَ إِذَا اشْتَدَّتْ الرِّيحُ: «اللَّهُمَّ لَاقِحًا لَا عَقِيمًا»، لَمَّا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْأَدَبِ الْمَفْرَدِ عَنْ سَلْمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا اشْتَدَّتْ الرِّيحُ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ لَاقِحًا لَا عَقِيمًا»^(٥)، وَمَعْنَى «لَاقِحًا»؛ أَي: مُلْقِحَةٌ لِلسَّحَابِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوْفِحَ فَاذْرِنَا مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَاسْقَيْنَكُمْوَهُ وَمَا أَنْشَرَهُ بِخَزَائِنِ﴾^(٦) [الْحَجَرِ] أَي: وَسَخَّرْنَا الرِّيحَ رِيَّاحِ الرِّحْمَةِ تُلْقِحُ السَّحَابَ كَمَا يُلْقِحُ الذَّكَرُ الْأُنْثَى فَيَنْشَأُ عَنْ ذَلِكَ الْمَاءِ بِلَاذِ اللَّهِ، فَيَسْقِيهِ اللَّهُ الْعِبَادَ وَالْمَوَاشِيَ وَالزَّرْعَ، وَيَبْقَى فِي الْأَرْضِ مَذْخَرًا لِحَاجَتِهِمْ وَضُرُورَاتِهِمْ، فَلَهُ الْحَمْدُ وَالنِّعْمَةُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

وَلِلْمُسْلِمِ أَنْ يُسَبِّحَ عِنْدَ سَمَاعِهِ الرَّعْدَ، فِيهِ الْأَدَبُ الْمَفْرَدُ لِلْبُخَارِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رضي الله عنه: «أَنَّهُ كَانَ إِذَا سَمِعَ الرَّعْدَ تَرَكَ الْحَدِيثَ، وَقَالَ: سُبْحَانَ الَّذِي يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ»^(٧). وَرَوَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه أَنَّهُ كَانَ إِذَا سَمِعَ صَوْتَ الرَّعْدِ قَالَ: «سُبْحَانَ الَّذِي سَبَّحَتْ لَهُ»^(٨).

وَفِي التَّسْبِيحِ فِي هَذَا الْمَقَامِ تَعْظِيمٌ لِلرَّبِّ سَبْحَانَهُ الَّذِي الرَّعْدُ أَثَرٌ مِنْ آثَارِ كَمَالِ قُوَّتِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَفِيهِ تَجَاوُبٌ مَعَ الرَّعْدِ الَّذِي يُسَبِّحُ بِحَمْدِ اللَّهِ، وَلَكِنْ لَا نَفَقَةَ تَسْبِيحِهِ.

(1) صحيح البخاري (1032) / (2) صحيح البخاري (1038)، وصحيح مسلم (71)، وقوله: (صلى لنا أي: صلى بنا) كما هو لفظ الحديث عند مسلم. / (3) انظر: القول السديد لابن سعد (ص: 108، 109) / (4) صحيح مسلم (899) / (5) الأدب المفرد (906)، وسنن أبي داود (5097)، وصححه الألباني رحمه الله في صحيحه (696) / (6) الأدب المفرد (718)، وصححه الألباني رحمه الله في صحيحه (553) / (7) الأدب المفرد (723)، والوطاء (1822)، وصححه الألباني رحمه الله في صحيحه (556) / (8) الأدب المفرد (722)، وحسنه الألباني رحمه الله في صحيحه (555).

[من كتاب فقه الأدعية والأذكار للشيخ عبدالرزاق البدر وفقه الله، القسم الثالث/ ص 250-254]

آيَاتُ اللَّهِ فِي الشِّتَاءِ

وَمَا يُقَالُ عِنْدَ نَزُولِ الْمَطَرِ

كلمة مفرغة من خطبة جمعة للشيخ:

عَبْدُ الرَّزَّاقِ بْنُ عَبْدِ الْحَكِيمِ الْبَدْرِيُّ

أستاذ العقيدة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية

حفظه الله تعالى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أيها المؤمنون عباد الله: اتقوا الله تعالى، ثم اعلموا رحمكم الله أن من الأمور العظيمة النافعة للعبد في هذه الحياة التفكير في آيات الله والتأمل في عجائب مخلوقاته، فإن ذلك - عباد الله - يزيد الإيمان ويقوي اليقين ويُعظم الصلة برب العالمين ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخْتَلَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَةً لِّأُولِي

الْأَلْبَابِ ١٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُوبِهِمْ وَتَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ١١﴾ (آل عمران).

عباد الله: ومن آيات الله العظيمة اختلاف الأحوال؛ ليلٌ ونهار، حرٌّ وبرد، شتاءٌ وصيف، ربيعٌ وخريف، والله الحكمة البالغة في ذلك، وتأمل رعاك الله نعمة الله على عباده في دخول الشتاء على الصيف والصيف على الشتاء كيف يكون بالتدرُّج والمهلة، ولو كان دخول أحدهما على الآخر مفاجأة لأضرَّ بالأبدان وأهلكها ولأفسد النباتات وأتلفها فما أعظمها من نعمة وما أجملها.

عباد الله: والله آيات عظيمة تكثر في الشتاء كالرعد والبرق والصواعق والمطر والبرد، يقول الله تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ ١٢﴾ (الرعد).

وثبت في المسند وسنن الترمذي وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «أَقْبَلْتُ يَهُودَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ إِنَّا نَسْأَلُكَ عَنْ خَمْسَةِ أَشْيَاءَ، فَإِنْ أَنْبَأْتَنَا بِهِنَّ عَرَفْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَاتَّبَعْنَاكَ، فَأَخَذَ عَلَيْهِمْ مَا أَخَذَ إِسْرَائِيلَ عَلَى بَنِيهِ إِذْ قَالُوا: «اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ»... قَالُوا أَخْبِرْنَا مَا هَذَا الرَّعْدُ؟ قَالَ: مَلَكٌ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، مُوَكَّلٌ بِالسَّحَابِ بِيَدِهِ - أَوْ فِي يَدِهِ - مِخْرَاقٌ مِنْ نَارٍ يَزْجُرُ بِهِ السَّحَابَ يَسُوقُهُ حَيْثُ أَمَرَ اللَّهُ. قَالُوا: فَمَا هَذَا الصَّوْتُ الَّذِي يُسْمَعُ؟ قَالَ: صَوْتُهُ. قَالُوا: صَدَقْتَ» [السلسلة الصحيحة: 1872].

ويقول الله جلَّ وعلا في شأن المطر والبرد ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُرْسِلُ سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوُدَّكَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ. وَيُرْسِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَافِرُهُ يَدْعُبُ بِالْأَبْصَرِ ١٣﴾ يَقْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ١٤﴾ [النور].

عباد الله: والبرد الشديد من زمهرير جهنم كما أن الحرَّ الشديد من سموها، في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «اشْتَكَّتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا فَقَالَتْ رَبِّ أَكَلْتُ بَعْضِي بَعْضًا فَأَذِنَ لَهَا بِنَفْسَيْنِ نَفْسٍ فِي الشِّتَاءِ وَنَفْسٍ فِي الصَّيْفِ فَأَشَدُّ مَا تَحْدُونُ مِنَ الْحَرِّ وَأَشَدُّ مَا تَحْدُونُ مِنَ الزَّمْهِرِيرِ» [البخاري: 537، ومسلم: 617].

فهلَّا ذكّرنا - عباد الله - ذلك بالنار، ومن يتحمل البرد والحر الشديد في الدنيا فكيف بحر جهنم وزمهريرها!! أجارنا الله وإياكم منها.

عباد الله: لقد حملنا نفوسنا همومًا كثيرة تتعلق بالدنيا؛ هموم السنين والأزمنة، وهموم الغلاء والرُّخص، وهموم الشتاء قبل أن يجيء، وهم الصيف قبل أن يجيء، هموم متلاحقة فماذا أبقينا في قلوبنا من هم الآخرة وأهوالها وأحوالها؟! وفي الدعاء المأثور: «اللهم لَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمًّا وَلَا مَبْغَ عِلْمِنَا» [صحيح سنن الترمذي: 2783].

عباد الله: ومع دخول الشتاء هل تذكّر أهل الجِدَّة واليسار إخوانهم الفقراء وذوي الحاجة ممن يفتشون الأرض ويلتحفون السماء ممن لامس البرد الشديد أجسامهم واخترقت شدته عظامهم؟! ألا اتقينا حر جهنم وزمهريرها بالمعطف على هؤلاء!!، وفي الحديث: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» [البخاري: 1417، ومسلم: 1016]، والتمرة عباد الله لحافٌ يفيد هؤلاء في البرد؛ كما أن الغطاء لحاف والثوب الدافئ لحاف والمعطف لحاف، فتصدق يا من وسَّع الله عليه ولو بشيء يسير، فربما يكون في نظرك حقير وهو عند ذلك الفقير المحتاج كبيرٌ عظيم، ولا تحقرن من المعروف شيئاً.

عباد الله: والشتاء غنيمة باردة للعباد والمطيعين؛ فنهاره قصير يسهل صيامه، وليله طويل يهون قيامه، يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «الشتاء غنيمة العابدين»، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «مرحباً بالشتاء تنزلُ فيه البركة، ويطول فيه الليل للقيام، ويقصر فيه النهار للصيام»، وقال الحسن البصري رضي الله عنه: «نعم زمانُ المؤمن الشتاء؛ ليله يطول يقومه، ونهاره قصير يصومه».

هذه مشاعر السلف رحمهم الله في الشتاء: فرحٌ وغبطةٌ، همّةٌ ونشاط، جدٌّ واجتهاد فيما يقرب إلى الله. وأما أحوال كثير من الناس في هذا الزمان ففي تضييع الفرائض والواجبات، وغشيان المحرمات والمكروهات، والاجترأ على حدود ربِّ الأرض والسماوات، والسهر الطويل في الليل على ما يُغضبُ الله ويُظلمُ القلوب ويُضعِفُ نور الإيمان.

اللهم أصلح أحوالنا وأحوال المسلمين ورُدِّنا إليك ربنا رداً جميلاً، واهدنا سبل السلام، وأخرجنا من الظلمات إلى النور، واجعل لنا إلهنا في تعاقب الليالي والأيام عبرة ومُذكّر، وفي توالي الشهور والفصول والأعوام عظة ومعتبر.

[من خطبة جمعة للشيخ عبدالرزاق البدر وفقه الله، 16/10/1423 هـ www.al-badr.net]

[أما يقال عند نزول الغيث]

إذا نزل الغيث فإنَّ من السنة أن يقول المسلم عند نزوله «اللَّهُمَّ صَيِّبًا نَافِعًا» لما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ كان إذا رأى المطر قال: «اللَّهُمَّ صَيِّبًا نَافِعًا»^(١). وقوله: «صَيِّبًا» منصوب بفعل مقدر، أي: اجعله، والصَّيْبُ: المطر.

وقوله: «نافعًا» وصفٌ للصَّيْب، احتراز به عن الصَّيْب الضار، وفي هذا دلالة على أنَّ المطر قد يكون نزوله رحمةً ونعمةً، وهو النافع، وقد يكون نزوله عقوبةً ونقمةً وهو الضار. والمسلم يسأل الله عند نزول المطر أن يكون نافعاً غير ضار، وهذا الدعاء المذكور يُستحبُّ بعد نزول المطر للازدياد من الخير والبركة، مقيداً بدفع ما يُخشى ويُحذر من ضرر.

ومن الواجب على العبد في هذا المقام الكريم أن يعرف نعمة الله عليه، وينسب الفضل إليه، فهو سبحانه مولى النعم ومُسديها، بيده العطاء والمنع، والخفض